



جمالية التشبيه في السور المكية

أ.م.د. خولة صالح صيهود

كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة
جامعة القادسية

Email: khawla.saihood@qu.edu

المخلص

يهدف البحث إلى بيان جمالية ظاهرة التشبيه في الآيات المكية من خلال تفصيلات لها أبلغ الأثر في إشباع حاجات الإنسان المختلفة، وتكشف عن جانب من الأسرار الفنية، التي تكمن في التشبيه، قائمة على مجموعة من الصور ذات أبعاد متعددة، ترسم المشهد التشبيهي، وأثرها العاطفي، والذوقي، الظاهرة المعجزة في صورته، ولوحاته، بقصد محاولة الكشف عن الجمالية، التي تحملها هذه الصورة التشبيهية، وأثرها في إيصال المعنى في أحسن صورة من غير استقصاء لآيات التشبيه في السور المكية، وأبعادها، فهذا يستحيل لكثرتها، وعمقها الدلالي مع البحث المختصر، ولكن أجملت بعض الخصائص التي تميزت بها آيات التشبيه في السور المكية مع بيان اللطائف، والأسرار المبتوثة في ثنايا هذه التشبيهات.

قد انتهجت خطة من مدخل أول ذكرت فيه التشبيه، وجماليته بصورة عامة، وجماليته في القرآن الكريم بصورة خاصة، ومحورين الأول: متعلق بالأثر العاطفي، وآخر بالأثر الذوقي، أحاول فيهما بيان أسرار تنوعها، والبحث فيما يحدثه التشبيه من أثر نفسي، وذوقي، والتوقف عند التشبيهات، التي لها صلة بانفعالات الإنسان، وما يحب وما يكره وما يطمئن له وما يخاف، تفقوها أهم النتائج.

Aesthetic Analogy in the Meccan fence

ABSTRACT

The research aims to show the aesthetic phenomenon of analogy in the verses of Meccan through details have the most impact in satisfying the needs of different human and reveal the part of the artistic secrets that lie in the analogy 'based on a set of images with multiple dimensions paint the analogy and its emotional and gustatory effect ' the miracle phenomenon in pictures and paintings ' in order to attempt to detect aesthetic carried by simulations and its impact on the delivery of meaning this picture at best SOW Rh is the verses of metaphor in the wall Meccan and dimensions of the survey it is impossible to plentiful and deep semantic search manual ' but outlined some characteristics Characterized by the verses of the analogy in the Meccan wall with the statement of the kind and secrets broadcast in the folds of these analogies.

Has pursued a plan of the first reported the entrance to the analogy and the beauty in the Holy Qur'an in particular 'and the two axe, first is related to the emotional impact and the last to impact gustatory try two statement secrets of diversity ' and research on wrought metaphor of the impact of myself and my taste 'and Stop at analogies that are related to human emotions and what he loves and what he hates and reassures him and afraid ' and then the most important results.



التمهيد :

يعرف التشبيه بأنه مشاركة أمر لأمر في معنى⁽¹⁾. وقد أوضح السكاكي أن التشبيه لا يكون إلا وصفا له عن طريق مشاركة للمشبه به في أمر⁽²⁾، أو هو الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة تشبيهية، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه⁽³⁾، وللتشبيه تعريفات كثيرة، لا تخرج في جوهرها عن ما سبق⁽⁴⁾. فالتشبيه هو اشتراك قائم بين شينين في صفة معينة، له أهمية وأثره، ينعكس أثره في إثراء المعنى. يزيده وضوحاً، ويكسبه تأكيداً.

وقد عني بفن التشبيه ودراسة أثره قديماً وحديثاً في مختلف الدراسات⁽⁵⁾، لما لهذه الظاهرة البلاغية القرآنية من فضل، وقيمة جمالية، فهناك كثير من الدراسات السابقة، أفاضت في ذلك، وفصلت، وعدته لونا بلاغياً، له قيمته الجمالية، والفنية لأنه أكثر الصور الأدبية حضوراً، وأوسعها، وأقواها تأثيراً، وأحسنها، وأرغبتها للنفوس وأقربها⁽⁶⁾. وقد كان "ابن نايقا الينغادي" أول من خصص كتاباً لتشبيها القرآن⁽⁷⁾، أحاط فيه مظاهر التشبيه في القرآن الكريم. ولا بد للدراسات القرآنية البلاغية من الإشارة إلى التشبيه، ومن مزاياه تعدد أبوابه، وألوانه، وأصنافه.

التشبيه ليس عنصراً إضافياً في الجملة، بل جزء أساسي، لا يتم المعنى بدونه، فعمله في الجملة أن يعطي الفكرة في صورة موضحة مؤثرة، فهو لا يمضي إلى التشبيه كأنما هو عمل مقصود لذاته، وإنما يأتي التشبيه ضرورة في الجملة، يطلبه المعنى ليصبح قوياً، واضحا⁽⁸⁾ و يرتقى بالبيان بشكل مؤثر بالغ الأهمية، هو وسيلة للخيال، وأقربها إلى الفهم، والتوضيح، والتقريب، يزد المعنى وضوحاً، ويكسبه تأكيداً.

التشبيه القرآني نوع من الخطاب الوجداني غير المباشر، له تأثيره الكبير في الوصول إلى ما يهدف إليه، لم يكن مقيداً ببيئة معينة، وعصر معين، بل يتكرر في كل زمان، ومكان، ويتميز بدقة الوصف؛ لزيادة الوضوح في الصورة، يأتي لتجسيم الفكرة، وبيانها، ويثير خيال المتلقي إلى المعنى المراد من التشبيه، فاللفظة في موقعها قد أغنت عن الجمل والتعابير العديدة المتنوعة، وما ذلك إلا لدقة تصويرها، وحسن موقعها في النص، وأثرها الدلالي، وهذه الدقة نابعة من أصل الكلمة، ومعناها، وفي التطابق بين خصائص المفردة، وأدق جزئياتها الصرفية، والبلاغية، وبين المعنى الذي جاءت في سياق هذه اللفظة، أي العلاقة التي بين المفهوم منها، والإطار الذي سبقت في ثنائه هذه اللفظة، وقوة الترابط، والتناسق، ودقة الجمع بينهما بألية معجزة تتوالى في سياق دلالي يعطي للمعنى عمقا، ينفذ إلى أعماق النفس البشرية.

فالتشبيه في القرآن الكريم عنصر بياني، يكسب النص روعة، واستقامة، وتقريب فهم، ويعد ضروريا لأداء المعنى القرآني متكامل من جميع الوجوه⁽⁹⁾، تنفرد كل صورة من صور التشبيه بعناصر خاصة تتلاءم مع السياق الذي وردت فيه. ذات قدرة فائقة على تهيئة ذهن الإنسان، ووعيه وما يدركه واعياً، وهي نموذج لملامح الحس، والإدراك البصري، والسمعي، وسبك ذلك كله في صياغة موحدة تنظر إلى هداية الإنسان، وتهينته.

أكد القرآن الأثر العاطفي في التشبيه وكذلك على المعنى، فلم يكن التشبيه والأساليب الأخرى في القرآن هدفاً يقصد إليه دون أن يتبع المعنى، ويكون جزءاً أساسياً تتوقف عليه دلالة الآية فضلاً عما يحققه التعبير عن المعقول بالمحسوس من أثر نفسي.

ولجمالية التشبيه القرآني، وفنائه أسرار، وأساليب، مما يتولد فيه من معان، وما يتخيل من دلالاته، وإشارات، والمتأمل لجماليات التشبيه الإبداعية، والخصائص الفنية الواردة في الآيات المكية محور دراسة البحث، يلحظ تنوعها، وتعددتها من حيث الأسلوب، والهدف، ولها آثار كثيرة ومتنوعة منها:

أولاً: الأثر العاطفي :

التشبيه له أهداف يسعى إلى تحقيقها، وغايات يحرص على إدراكها، لأن "أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكن"⁽¹⁰⁾ فهو يهدف إلى التأثير في العاطفة، واستمالتها خلال السياقات التي ترد فيها، والأغراض التي تساق من أجلها، فكثيراً ما يأتي التشبيه في الترغيب، والترهيب، ليتقرر بالتشبيه ذلك الأمر.



وله تأثير بالغ الأثر فيما يضيفه من صور بديعة تكسو المعنى المراد رونقا وجمالا في كون وقعه أبلغ وتأثيره أكبر، وإن المعاني التي تفيض بها الأحداث والصور أغزر وأبين، واقوى تأثيرا في النفس. ولكل تشبيه أثار خاصة، يمكن للمتأمل أن يستخرجها من التشبيه نفسه، وذلك بمعرفة السياق، والقرائن وبما يتضمنه التشبيه من المفردات، وكذلك بمقارنة التشبيه بما قد يشابهه من تشبيهات وأمثلة في موطن آخر، وهذه التشبيهات لها أثار عامة ومشاركة في معاني الآيات، وهذه الأثار غالبا ما توجد في كل تشبيه بلا استثناء.

في قوله تعالى " إِمَّا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَارْتَبَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) ". المشبه به هو الصورة المكونة من ماء ينزل من السماء، فيختلط به نبات الأرض فيز هو، ومن ثم يصبح فناء. إخراج مالم تجر العادة به، ونادر الحدوث إلى ما اعتاد الناس وقوعه وألفوه، ففيه تصوير لقيمة هذه الحياة، وتمثيل لحقيقتها، فإن مثلها في بهجتها، ومسراتها ليس لها بقاء، كمثال الماء الذي ينزل من السماء، فينبت النباتات، الذي يأكل منه الناس، والأنعام حتى إذا بلغ أقصى نظرة، وأمثلة أهل الأرض بالغرور جاء أمر الله تعالى " وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم، واستيقانهم أنه قد سلم (12)، فصار هشيمًا تذروه الرياح.

إن تقرير المعنى وتوكيده في النفس يحرك الدوافع النفسية، ويوقظها من الغفلة، ويجعلها تبصر هذه الحياة، وتقبل على الآخرة، والتأهب لها. فمثول الحياة وفناؤها، وما وراء ذلك من قوة الإحساس، ورويتها مقبلة، مدبرة له أبلغ توكيد.

يتضح المعنى من حيث وضوح الفكرة، وسهولة وصول المعنى وفي إسناد فعل التزير إلى الأرض، التي هي مفعول، وليست فاعلا، هي مجرد مكان، بلاغة في بيان الحال، وتحقيق الإيجاز.

استئناف يعود فيه إلى ذكر جزاء الأعمال قوله تعالى: " وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَزْرَهُمْ ذَلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۚ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (13)، القطع جمع قطعة ومظلمًا حال من الليل، والمراد كان الليل المظلم قسم إلى قطع، فأغشيت وجوهه تلك القطع، فاسودت بالتمام، والمتبادر منه أن يغشى وجه كل من المشركين بقطعة من تلك القطع، وقوله تعالى "خالدون" دلالة على بقائهم في النار.

ودقة اختيار اللفظة للتعبير عن السقوط في قوله تعالى " وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ " (14) إن هذا الساقط من السماء، يسقط بسرعة، واندفاع مصدرا صوتا، فيؤخذ بقوة. لهذه اللفظة دلالة قوية من السرعة، والقوة في التنفيذ وليس هناك فرصة للنجاة.

ويتضح أثر التشبيه، وبلاغته من خلال الآية الكريمة مبينا حال من يعرض عن القرآن، ويستكبر عنه، " وَإِذَا تَنَلَّىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " (15)، يذكر سبحانه موقفه هذا بعدما بين أنه يشترى لهو الحديث، ويقبل عليه في الآية قبلها.

بداية هذه الآية الكريمة بأسلوب الشرط، وقد بين هذا الشرط، بما يتضمن فعله وجوابه واقع هذا الرجل مع الآيات التي تنلى عليه، وهو يعرض عنها، ويتولى مستكبرا عند سماعها، الذي تعرض عليه آيات الله، وتأتيه في مكانه من دون أن يسعى إليها، ثم مجيء لفظة (تنلى) فعلا مضارعا، وفي ذلك إكمال للمعنى السابق، مجينه بصيغة المضارع؛ للدلالة على تجدد حدوث هذا الاستكبار، وتكرر وقوعه، (فبشره بعذاب أليم) أي: يوم القيامة يؤلمه، كما تألم بسماع كتاب الله، وآياته.

وقد يكون أسلوب الاستفهام، والتنبيه ودخول كاف التشبيه تمهيدا لذهن المتلقي لامتداد المشبه به، وكثرة ما ينطوي عليه من صفات أشبهته بالمشبه، وهو ما يتلاقى مع ما تهدف إليه الدلالة القرآنية من عرض المعاني على نحو يقربها من الأذهان (16) في قوله تعالى " ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء (24) تؤتي

أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26) " (17) ، المتأمل يجد أن كاف التشبيه قد استبقت الكلمة الطيبة في ذهن المتلقي المشبه -خلال متابعتها للشجرة الطيبة- وهي المشبه به- بحيث يمكن من عقد الصلات الوثيقة بين ما يتراءى في السياق من خصائص ومعان من ناحية، وهذا الطرف المشبه من ناحية أخرى ، دون أن يكون المتلقي عرضة لأن يستغرقه الامتداد الحاصل في المشبه به(18) للتنبه إلى ما يساق من المعاني .

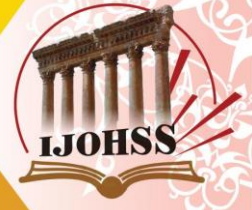
لم تتمثل غاية التشبيه في مجرد الجمع المباشر بين الكلمة الطيبة، والشجرة الطيبة فحسب ، بل لقد أضيف إلى هذه الغاية أهداف أخرى تتمثل في عرض هذه الكلمة، وطبيعتها من رسوخ أصولها في الأرض، وثباتها فيها، وامتداد آثارها . أما عن الأسرار الفنية لهاتين العبارتين (الكلمة الطيبة)، (الشجرة الطيبة) من حيث كونهما صورا تشبيهية، ورمزية لها دلالات محددة، يستهدفها القرآن الكريم؛ إذ لا يكتفي بإيجاد العلاقة العابرة بين الكلمة الطيبة، والشجرة الطيبة أو بين الكلمة الخبيثة، والشجرة الخبيثة، بل يفصل الكلام في أوجه التشبيه.

إن التشبيه على هذا النحو آل الى حض العباد أن يهتدوا الى الطيب من القول، وذلك في عرض الكلمة الطيبة في هذه الصورة. وفي ذلك زيادة إفهام، وتذكير، وتصوير للمعاني. الخطاب إحياء بالرغبة في تعميق الصورة في وجدان كل راع لتكون له حافزا على السعي لتحصيله، والفوز به. (الشجرة الطيبة) واحدة من الصور الفنية التي تنطوي على الأسرار الجمالية، والعمق بما تثيره من دلالات متنوعة . فمجيء المثل كأداة فنية ذات طابع توكيدي في توضيح الحقائق .

وقوله تعالى في الصورة المتقدمة (مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) كان من الممكن أن لا تتصدرها عبارة (مثل)، فتكون تشبيها مألوفا ، إلا أن وجود التوكيد على هذا الجانب فصدرها بعبارة (مثل) لتكون أشد توضيحا . ليس هذا فحسب ، فهناك طابع التوكيد عندما ابتداء الآية بعبارة (مثل) بعد عبارة توضيحية شارحة هي قوله تعالى(الم تر كيف ضرب الله مثلا)، يعد مزيدا من الوضوح لتحقيق المعنى ، وأسرار متنوعة كثيرة من الجمال منها، الكلمة ، وعملية التقابل أو التضاد بين نمطين من الكلمة ، الكلمة تقتدرن بطابع صوري يعتمد عنصر التشبيه ، وهذا النمط من الاستخدام الفني له جماليته ،فالظاهرة التي يستهدف توضيحها بوساطة التشبيه وهي (الكلمة) تشير إلى دلالات متنوعة ،تظل عنصرا سوريا لتوضيح الحقائق .

ولربط كاف التشبيه مع اسم الإشارة دلالة ممتدة، فتكون الكاف متكاملة مع اسم الإشارة بالربط بين الطرفين على اتساعهما ،من ذلك قوله تعالى: " قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى " (19) ،وقوله تعالى: " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " (20) ، دخول كاف التشبيه في تلك الآيات يركز على الالتقاء الجامع بين الطرفين، اللذين يصبحان في مركز انتباه المتلقي، وهو يتابع منابع الدلالة في السياق ذلك أن التشبيه في هذه الحالة يكون مكونا أساسيا لها(21)

ومن النماذج التي وردت كثيرا تصوير المعاني الذهنية تصويرا حسيا يجسمها، ويشخصها، ويجعلها ماثلة للعيان(22) قوله تعالى " مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ " (23) ، تبين جانباً من الأسرار الفنية لهذا التشبيه المفصل، والصياغة الفنية، التي وسمت صياغته قد استغرق جميع الآية ، يتخذ القرآن الكريم من الرماد مثلا لأعمال الكفار ، كاف التشبيه رابط لفظي وثيق يلفت المتلقي الى بناء أسلوب التشبيه، ويدفعه إلى التعمق في الآية؛ ليفهم طرفيها في إطار واحد قائم على التلاقي، والمشابهة، ذلك أن الامتداد، والتركيب لكلا الطرفين قد يستغرقان بعض المتلقين مما يجعلهم يذهلون عن طبيعة التشبيه، الذي تهدف الآية إلى بنائه(24) . وأسند العصف إلى اليوم، بدل الريح في مجاز بليغ ، وصور شيئا ضعيفا وهو الرماد في مقابلة الريح الشديدة .



فهنا الشبيه بالرماد الهش الذي لا يصمد أمام قوى الريح ذكرها في سياق تصوير أعمال الكفار بهذا الرماد، وزاد عليه صورة الرماد في اليوم العاصف، فبلغ قمة التأثير حينما ضم إلى الرماد الريح الشديدة العاتية، أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وذلك يلبس المعنوي ثوب المحسوس بأوصاف، ومميزات تجعل المعنوي المعقول كأنه مشاهد محسوس، التعبير القرآني وسع من دائرة العصف لتشمل اليوم كله، وجعله صفة لليوم، والعصف صفة للريح، وانتقال هذه الصفة إلى اليوم إسناد مجازي، يجعل الزمن كله، وكأنه عاصف (25)، تصوير فني علا على أطراف التشبيه، والحركة، والاستمرار أدى إلى تصوير المعاني الذهنية تصويرا يجسمها، ويشخصها، ويجعلها ماثلة للعيان. تزيد الصورة حركة وحياة، بحركة الريح في يوم عاصف تذر الرماد، وتذهب به إلى حيث لا يتجمع أبدا (26). وهكذا ينهض التمثيل القرآني في الوقت العصيب؛ ليؤكد شدة العذاب، وركزت الصورة على عدم النفع لأعمال الكافرين وأنها تذهب يوم القيامة لا يمكن استدارتها (27).

إن عناصر التشبيه التي كونت أساليبه يجمعها معنى عام هو فناء هذه الأعمال، وبطلانها، وإنها لا حقيقة لها ولا منفعة، فهي لاغية مضمحلة متلاشية، ويتوضح الغرض من التشبيه هو أنهم لا يقدر على شيء مما كسبوا، ويؤكد عدم قدرتهم على الانتفاع بما كسبوا، كل صورة من صور التشبيه تتميز بها تتلاءم مع السياق الذي وردت فيه، وهي من الجماليات المتعلقة بمقاصد الآية الكريمة وأهدافها.

ففي صياغة الصورة التشبيهية جمالية فائقة، لكي يعمق النص، ويوضح عدم انتفاع الكفار بأعمالهم، جاء بنموذج تشبيهي هو الرماد، الذي اشتدت به الريح في يوم عاصف، كذلك الكافر لا يقدر على الانتفاع بعمله. جاء هذا التشبيه بالرماد يحمل مسوغات فنية ضخمة ممتعة عبر تفصيلاته الكثيرة، وكان يمكن أن يكتفي التشبيه بمجرد الرماد من دون هذه التفصيلات، لكن الآية تستهدف توضيحا بأن عمل الكافر لا ينتفع به بأي وجه من وجوه الانتفاع. ثم التعقيب الذي ختم به الآية (ذلك هو الضلال البعيد) سمة فنية تعمق من الدلالة.

أراد سبحانه وتعالى أن يعطينا صورة للحيرة، والتردد للذين هداهم الله، ودعوا إلى أن يعبدوا غير الله " قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُوْنَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (28)، فدخل الكاف على "الذي" أدى إلى اتساع مدى بناء التشبيه عبر اسم الموصول، وجملة الصلة وعلقتها بدلالة التشبيه (29)، تصوير لحال المؤمن الذي يهّم أن يرد في الضلالة بعد الهداية، بتأثير أهل الباطل، وإغوائهم، وإفسادهم، بحال من استهوته الشياطين. وحاولت إبعاده عن أصحابه أهل الحق، تمثل قمة التمزق النفسي، صورة مجسدة للمعنى محسوسة، لا يخفى ما في بناء أسلوب التشبيه من اتساع في طبيعة بنائه، فهناك امتداد يتابع فيه حال من يدعو من دون الله ما لا يغني عنه شيئا، مرتداً بذلك إلى حال الجاهلية.

ونلمس شيئا مشابهاً لذلك الدور، نهضت به كاف التشبيه في قوله تعالى: "أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْبَبْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا" كذلك زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (30)، " لا يخفى ما يبلغه المدى التركيبي الذي يجب أن يتابعه المتلقي وهو يتبين ما يومي إليه اسم الموصول، ويدل عليه في كلا الموضعين، وكاف التشبيه بوثوق دلالتها على معنى المشابهة تصبح عونا للمتلقي على هذه المتابعة، وقد يكون دخول كاف التشبيه تمهيدا لذهن المتلقي لامتداد المشبه به، وكثرة ما ينطوي عليه من صفات اشبهته بالمشبه، وهو ما يتلاقى مع ما تهدف إليه الدلالة القرآنية، من عرض المعاني وضرب للأمثال على نحو يقربها من الأذهان (31)، وهو تنبيه على حسن حال أهل الإسلام، وسوء أحوال أهل الشرك.

وفي بيان حال المشبه وتقبيحه قوله تعالى: " فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّما يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا

يُؤْمَنُونَ" (32) ، تمثيل حال المشرك وضيق النفس المعنوي ، يجده من دعي إلى الحق وقد ركن إلى الباطل يشعر بأنه أشرف على الهلاك (33) ، تشبيهه يقابل بين ضيق العازفين عن الإيمان، والهداية، وضيق الصدر الذي يصعد إلى السماء بغير وسيلة واقية، فكلمة يشرح: وهي فعل مضارع تدل على تجدد الانبساط، والارتياح، واستعمال لفظة ضيقا حرجا تدل على أشياء كثيرة مجتمعة منها الضيف الشديد أو التضيق.

وفي قوله تعالى: "خُشِعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ" (34) ، فيها استحضر ذلك المشهد العظيم الذي يكون عليه الناس حين يخرجون من قبورهم في جو من الخوف، والهول، فالتشبيه يركز على معنى الكثرة والانتشار على غير نظام فالتعبير بـ "الجراد المنتشر" صادق حي حركي يوحي بعدم انضباط نفوسهم، وانتظامها وشيوع الحيرة والفزع مع تسليط الضوء على معنى التخائل، والضعف، والوهن الذي هم فيه والمتجلي في أبصارهم الخاشعة، ما يتلاءم مع جو السورة فكلها توحى بالهلاك.

الآية الكريمة تشير الى مشهد من مشاهد يوم القيامة، ونلاحظ التشبيه المرسل المجمل، شبهه الناس عند خروجهم في يوم الحساب من الأجداث في وقت واحد يموج بعضهم في بعض، وشبهوا بالجراد دلالة على الكثرة، والتموج (35) ، فحقق دلالة مؤثرة في إيصال معنى الآية على نحو شديد، ومؤثر، من أجل تقريب صورة الحشر، وحاله، ولتوضيح دقائقه.

ايضا قوله تعالى " إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20)" (36) التشبيه مرسل مجمل قد وظفه التعبير القرآني توظيفا فنيا، وهو تشبيه حسي، من شأنه تقريب الصورة إلى الأذهان بشكل مباشر مؤثر، فقد أخرج المعاني على نحو عميق، وعمل على إجلاء المعنى، وتقريره في النفوس.

ولمعنى التكرار أثر بالغ في قوله تعالى: " سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَفَرَى الْقَوْمُ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ " (37) في تسليط عذاب الكي مرات متتالية وهي صفة لسبع ليال، وثمانية أيام متتالية متتابعة، والجامع بين الأمرين خلو الأجساد من الأرواح .

ثانياً: الأثر الذوقي :

يملاً كتاب الله وجدان الإنسان، ويدعوه الى تذوقه، فقد خاطب الناس على اختلافهم من عقل، ووجدان، فخاطب عقولهم؛ لتذعن للمنطق، والدليل، وتوجه لقلوبهم لتنتفتح للموعظة، والتذكير. ما يؤسس ويوصل لمسألة الذوق، وأهميته ارتباط الفضائل القرآنية والمناهي بهذا الحس الوجداني النفسي ، ويسهم المتلقي في عملية التذوق للنصوص ، بطول الممارسة الأدبية . فالقرآن يستخدم من الكلمات أدقها دلالة، وأتمها تصويراً بالنسبة إلى نظائرها، فإذا استنفدت اللغة طاقتها ولا تزال بقية من المعنى أو الصورة شاردة وراء حدود البلاغة، اتسعت لها الكلمة القرآنية، وشملت عن طريق ما تنسم به من جرس، و إيقاع.

تتوضح جمالية النص من خلال الإسهام الذوقي في استخلاص الدلالة، وفي ميدان التذوق، وأثره نجد تفاوتاً بين وجهات النظر لدى المفسرين ، ينطوي على قيمة فنية كبيرة، تثيري تجارب المتلقي لنصوص القرآن الكريم.

فالقرآن يتأنق في اختيار ألفاظه، ويضعها في الموضع الذي تؤدي فيه معناها بدقة، بحيث لا يصلح فيه سواها؛ ولذلك لا تجد في القرآن ترادفاً، بل كل كلمة تحمل معنى جديداً، ولا تجد في القرآن كلمة معيبة من حيث صورة اللفظ، (حروفه، وحركاته، وسكناته)، ولا استعماله، ولا تجد فيه لفظاً قلقتاً مضطرباً أو نابياً في موضعه (38).

"وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ" (39) ، يريد أن الجبال من هول اليوم وما ظهر من أمر الله تعالى

فيه تزول عن مواضعها، فلا يكون لها قرار ولا ثبات، فأخبر بذلك عن شدة الأمر عند النسخ في الصور، وبعث الأموات من القبور⁽⁴⁰⁾.

وقوله تعالى: "يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ عَمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ" (13)⁽⁴¹⁾، يعني ثابتات تقرير حال المشبه في نفس السامع قوله تعالى: "وَإِذْ نُنَقِّنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (42)، وفي تشبيهه الجبل بالظلة، دقة في الوصف، ليتخيل السامع المشهد، فيزيد تأثره به، رفعه سبحانه بقدرته حقيقة فوق رؤوسهم.

وتحقيقاً لانتقاء الألفاظ، وعذوبتها في القرآن، فإن القرآن يعمد إلى تهذيب ما قد يعاب من الألفاظ إذا دعا داع بلاغي لوروده اللفظ فيه؛ ولهذا ترى في القرآن كلمات، وألفاظاً يشهد الذوق بحسنها؛ لأنها هذبت، ووضعت وضعاً محكماً، بينما تراها في غير القرآن معيبة شاذة. قوله تعالى: "وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ يَتْرِكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" (43)، فالتقدير: لكننا لم نشأ ذلك لأنه أخلد إلى الأرض، واتبع هواه وكان ذلك مورداً لإضلالنا لا لهدايتنا كما قال الله تعالى "ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء"⁽⁴⁴⁾، أي أنه ذو هذه السجية لا يتركها سواء زجرته ومنعته أو تركته⁽⁴⁵⁾. عدم التصريح بالأحداث والعناصر التي يمكن أن تدرك ذهننا من القران. وهذه من أبرز الخصائص في الأساليب القرآنية على تنوعها، واختلافها، ويبقى في دلالات الألفاظ أو لوازم المعاني ما يدل على المحذوف للاختصار، وطلب الإيجاز. ففيها صور متعددة متجاوزة، وتشبيه مركب منتزعة الحالة التشبيهية من متعدد يتوضح منها المراد من التشبيه، والأثر البلاغي واضح حيث الإنسجام، والتناسق من مقابلة أجزاء المشبه تنبه العقل إلى مقارنات متعددة تؤدي إلى معنى التشبيه والغرض منه. قمة التأثير في أنها صورة لسوء الحال، والتعب المستمر، جاءت على شكل التشبيه تشبيه حال المنكرين المكذبين.

إن الذين يعطلون النظر الجمالي بقمع إرادته وإهمال ملكاته هم معنيون بقوله تعالى: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِطْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" (46) تنمية الإحساس الجمالي لدى الإنسان هو تنمية للملكات التي أنعم الله بها عليه، وفيها تحقيق لشكر الذي أنعم، وأسبغ علينا هذه النعم.

ومن أسلوب المقارنة والتنظير قوله تعالى "مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ" (47)، يجمع بين صورتين متناقضتين لفهم المتلقي حتى يعي، ويدرك أوجه المقارنة بعد بيان حال الكفار والمؤمنين ثم النطق بالحكم الذي يترتب على النتيجة، فقال (هل يستويان)، وهو لون من ألوان البيان أسلوب المقابلة التي تقتضي اللف، والنشر وهو التقابل الدلالي بين صورتين الذي يبلغ مبلغ من التأثير.

وهذا مشهد قصصي في المقام الأول بلغ فيه الأداء التصويري حداً في الإعجاز، شملت مفردات الحدث الطبيعة والإنسان، "حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَذَلَّلْنَا بِهَيْبَتِنَا مِنْهُمُ الْوَجِينَ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ" (40) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ" (41) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ" (48)، التصوير الحسي يخاطب العين وهي وسيلة إدراكية مؤثرة تلتقط أبعاد الهول المرئي في امتداده، وصخبه، وعفوانه، إن السامع ليمسك أنفاسه في هذه اللحظات القصار، وهي تجري بهم في موج كالجبال⁽⁴⁹⁾، "إن التكوين الموسيقي للجملة ليذهب طولاً وعرضاً في عمق، وارتفاع، ليشتبك في رسم الهول العريض العميق، والمدات المتوالية المتنوعة في التكوين اللفظي للآية تساعد في إكمال الإيقاع، وتكوينه، واتساقه مع جو المشهد الرهيب العميق"⁽⁵⁰⁾.

وعند تأمل حذف وجه الشبه، إشارة إلى الإجمال في مواضعه، وأبلغ من التفصيل، وأكد في الدلالة، وأقوى في الأثر والتأثير، حتى تذهب النفس في ذلك المحذوف كل مذهب، فيكون استنباط الأوجه المحذوفة مما يؤدي إلى إثراء المعنى، في قوله تعالى: "فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ (49) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (50) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (51)"⁽⁵¹⁾، "فقد صور المعنى أتم تصوير في تشبيهه المعرضين عن القرآن، فأهداف التشبيه، وغاياته، وخصائصه، وميزاته جاءت متوافقة مع الأهداف، والغايات التي جاء من أجلها. "فضيلة الاختصار"⁽⁵²⁾

فلم يقتصر في تشبيههم بالحر، بل تزداد الصورة وضوحا، وتمكنا من النفس عندما يلحق بها جزئية الفرار من أسد يطلبها طعاما بأنيابه، ومخالبه، نجدها تتفرق في كل مكان هانمة على وجهها، والخوف يملأ صدرها. فهو أبلغ تصوير لإعراض الكافرين وفي الوقت نفسه للسخرية منهم. الدور الذي أدته الصورة الكلية عبر تشكيل الحدث، ورسم طبيعة الشخصيات، وبيان ما فيه من أبعاد نفسية. ولدور التشبيه الدلالي أهمية في تأنيص النفس بإخراجها من خفي إلى جلي، وتقريب الصورة ليفيد بيانا⁽⁵³⁾.

كاف التشبيه هنا رابط لفظي وثيق، يلفت الانتباه إلى بناء أسلوب التشبيه، وعمق الدلالة وذلك الامتداد والتركيب في قوله تعالى: "أَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلِي مُدَبِّرٌ لَهَا وَمُؤَسَّى لَهَا تَخَفُ إِلَيَّ أَيْ لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ"⁽⁵⁴⁾ "وَأَنْ أَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلِي مُدَبِّرٌ لَهَا وَمُؤَسَّى أَيْ لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ"⁽⁵⁵⁾، الاهتزاز شدة الاضطراب في الحركة وللحيوان حركة تدل عليه إذا رني عليها، لا يشك في انه حيوان بها، وهي التصرف مع كون الشيء على البنية الحيوانية. وأصل العصا من الامتناع، يقال عصي يعصى، إذا امتنع⁽⁵⁶⁾.

تفردت تشبيهات القرآن الكريم عن غيرها وتميزت بمقاصدها العظيمة، ومضامينها إن بلاغة التشبيه آتية من طريقة تأليف ألفاظه، والقدرة على ربط المعاني وتوليد بعضها من بعض إلى مدى بعيد⁽⁵⁷⁾.

كقوله تعالى: "وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَأَصْوَاتُ الْحَمِيرِ"⁽⁵⁸⁾ القصد في الشيء الاعتدال فيه والغض - على ما ذكره الراغب - النقصان من الطرف والصوت فغض الصوت النقص والقصر فيه. أي التوسط بين الدبيب والاسراع، بسكينة ووقار، وأقصر وأخفض من صوتك، بعدها أعطى مثلان للذم الحمار ونهاقه.

ولتكريس الصورة الحسية أثر واضح في قوله تعالى: "وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (48) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (49)"⁽⁵⁹⁾، والتي تحمل معنى خفيا، فقد عقدت الصورة التشبيهية صورة حسية كاملة الأبعاد، تتضح منها الحقائق الظاهرة، والمعاني العاطفة، كأنها أمور محسوسة مرئية. وصف نساء أهل الجنة بأتهن قاصرات الطرف، مع حسن العيون، لا من شيء يمنعهن من طموح النظر، وإنما ذلك للغة والخفر، ثم شبههن بالبيض المكنون، تأكيدا للصفة بالتشبيه، فأخبر بذلك أنهن في ستر، وكن عن التبرج، وجعل وصف البيض دالا على هذه الحال من وصفهن. ولفظة (مكنون) متضمنة معنى السلامة، والخلوص من جميع العوارض التي تنتقص رونقه، وتشين بياضه⁽⁶⁰⁾، وهذا الكلام غاية في مناسبة الوصف ومطابقتها، وبلاغة التشبيه وموافقته، وجاء في التفسير أنه تعالى وصفهن بقصور الطرف على أزواجهن، وشبههن بالبيض، لحسنه، وصفاته، ورونقه⁽⁶¹⁾. هذه الصورة الحسية التي ساقها التشبيه، ترتبط بدلالة فكرية، وشعورية ساقها الآيات قبل ذلك في إطار وعد المؤمنين بنعيم الآخرة.

وقوله تعالى: "أَذَلِّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ (62) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (63) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَبِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ"⁽⁶²⁾، السورة تمتلئ بالجمال التعبيري شأن السور المكية، التي تتميز بالقصر، والإيقاع، والصور الحسية، فأستعير لها طلع من شجرة



الزقوم، وشبهه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في كراهة المنظر، وقبحه. إن مجرد تصوير الشجرة بهذه الصورة الحسية المخيفة بثير الفزع، والرعب، والخوف.

" وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَبْتَ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (63) التشبيه في الآية مقرون المعنى بالدليل على أن إحياء الأموات بعد أن صاروا رفاتا في التراب كإحياء الأرض بالنبات، والإخراج من كل الثمرات بعد الموت، والجفاف، والانداس (64)،

ومثل ذلك قوله تعالى "وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُحْيِي سَحَابًا قَسَقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ" (65)، سمي الإحياء نشورا لأنه إظهار ما كان مطويا بالموت من النماء، والتصرف، والحركة.

إن الصورة الكبرى التي يرسمها التشبيه القرآني هي الربط بين البعث بعد الموت يوم القيامة، وبين إحياء الأرض الجرداء الميتة، وذلك في ربط بين المعنوي والحسي، لإيضاح المعنوي وتبيينه، والقياس على الحسي، ولفت النظر إلى إمكانيته، وإيقاعه موقع المتخيل. الله يرسل بقدرته الرياح، مبشرة بالغيث - وسماه رحمة على أسلوب المجاز المرسل ذي العلاقة المسببة - فتسوق السحاب الثقيل المحمل بالماء لينزل على أرض ميتة، فيحييها بعد الجفاف، والجذب، والقحط واليبوسة، وكذا الشأن في إحياء الله للموتى، بعد أن انتهت حياتهم، ودفنوا في باطن الأرض. والله قادر على الأولى قدرة لا ريب فيها، فهي معاينة مرئية للناس جميعا، وهو لذلك قادر على الثانية.

إن التشبيه هنا يقدم صورة قياسية منطقية، وهو يعرض برهانا عقليا على إمكانية تحقق المشبه، ويوقع الحجة على منكري البعث. ويوضح قدرة الله تعالى، وسهولة ذلك عليه. وتثير الصورة البلاغية إحياءات جانبية تشير إلى فضل الله تعالى في إرسال الغيث الذي هو حياة للأرض، كالروح في جسم الإنسان.

وفي قوله تعالى "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (66)"، تشبيهه يغني عن الإطالة في صفة الحال الموضوع لها، المعبر به عنها (67).

إن حركة الصورة المحددة في تجسيدها كانت من خلال تركيب السورة الكريمة التي خلقت من الجمل الاسمية الدالة على الثبات وإنما كانت من خلال جمل فعلية جسدت حركة الحدث بواسطة التوازي والأفعال، ولقوة الحدث وجسامته، وردت الأفعال مساوية لقوته في أنها أفعال متعدية وفيها ثلاثة أفعال هي مدار الصورة الفنية المتحركة بسرعة خارقة. والتشبيه المرسل المجمل نهاية الحدث حذف وجه الشبه لتعادل الصورة الفنية موضوعيا جيش أبرهة وفساده بصورة العصف المأكول الذي راتته الدواب، هو من أدب أسلوب الكتاب العزيز فانه يشير إلى الامور التي يستقذرها الطبع بالكنايات اللطيفة، فالعصف المأكول هو روث الحيوانات.

الصورة التشبيهية في القرآن الكريم تتناول الحال الظرفية للطرفين والأبعاد النفسية الخفية التي لا تستطيع تحصيلها في تشبيهات أخرى، فالتمثيل هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، وفي قوله تعالى "العنكبوت مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) (68)"، مثال على تصوير القرآن لحال أهل الشرك، وتشبيههم بالعنكبوت وبيته، ومميزاته نجد هذه الصورة ثلاثم، وتوافقها المقام. فقرة التشبيه في مطابقة الصورة المشبه بها لحال المشبه. ويحصل ذلك مع حضور للعناصر التي لها تأثير وتأثير بالإضافة الى أشياء، وكائنات من محيط الصورة لها فاعلية، وتوجيه لمعنى التشبيه ومقصوده. فضعف بيت العنكبوت، ووهنه وضعف من يعتمد عليه واضح للعيان، فكذلك ضعف حال من أشرك مع الله عز وجل آلهة أخرى.

وجاء أسلوب الاستثناء مع التشبيه ذو مواصفات خاصة فريدة في حسن الاختيار المسجد للمعنى في قوله تعالى: "أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا" (69)، وزاد في الدم بوصفهم أضل سبيلا.



وقوله تعالى: " يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُؤْفِسُونَ (43) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (44) " (70)، شبه حالة إسراعهم الى موقف الحساب بحالة إسراعهم، وتسابقهم في الدنيا إلى الهتهم، وطواغيتهم وهذا من التهمك بهم والسخرية، والازدراء ما فيه.

وجاء في الآيات المكية "استفهام فيه معنى الاستعظام والتعجب" (71) **في قوله تعالى: " وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (5) "** (72)، " الفراش، قال الفراء: هو الهمج الطائر من يعوض وغيره، ومنه الجراد. ويقال: هو أطييش من فراشة. قال: وقد كان أقوام رددت قلوبهم عليهم، وكانوا كالفراش من الجهل (73). حيث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والتطاير من كل جانب كتطاير الفراش الى النار. (74)، تجلت خصائص التشبيه من خلال اختيار الألفاظ المعبرة بدقة موحية، التي كان لها أثر كبير في تحقيق الجانب الوظيفي للتشبيه. بالإضافة إلى التلاؤم والتناسب في الصور التشبيهية، لاسيما تشبيه الشيء الواحد بأكثر من مشبه به، فضلا عن الدقة في تلك التشبيهات.

ولزيادة التناسق اللفظي، التي يعنى بها القرآن الكريم قوله تعالى: " وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَا مَنْزِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ " (75)، **ففي تقديم " وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَا مَنْزِلَ "** ليس تقديم المفعول للاختصاص، وإنما هو من باب مراعاة حسن نظم الكلام في الآيات قبلها ليكون الجميع على نسق واحد في ابتداء الجمل بالأسماء المتناسبة (76)

جاء التشبيه في الآيات المكية واسلوبها مصورا المعنى اتم تصوير، من خلال قدرتها الدلالية الواضحة، وتأثيرها في إخراج الصورة من خفي إلى جلي وادناه البعيد من القريب ليفيد بيانا، والكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز والاختصار.



الخاتمة

- التشبيه في الآيات المكية ليس عنصرا اضافيا في الجملة، ولكنه جزء اساسي لا يتم المعنى بدونه .
- تتبع جمالية التشبيه في آيات مكية، مع محاولة نظم ذلك على وفق محاور رغم صعوبة تتبع ذلك لما لخصائصها الأسلوبية، وعمقها الدلالي.
- آيات التشبيه المكية تتسم بالتأثير والكثافة في الصور والمعاني.
- ايثار الكلمة لأجل المعنى والصوت الظاهر على سطحها.
- اختيار اللفظ لا يكون على حساب المعاني، بل نسيجها اللغوي يوافق مقومات البيان، والجمال صوتا، ودلالة، وتركيبا.
- انتقاء المعاني بالكلمات المناسبة بتعبير يجسد المعنى ويحقق الدلالة على أتم وجه.
- للتشبيهات في الآيات المكية أهمية بالغة في بيان أثرها في تفسير القرآن .
- من آثار التشبيهات المكية الحث، والتحذير حسب ما يقتضيه السياق.
- التشبيه في الآيات المكية لها أبلغ الأثر على النفس الإنسانية، وإنفعالاتها، ما يحب وما يكره، ما يطمئن له وما يخاف .
- التفصيلات في الآيات المكية لها أبلغ الأثر في إشباع حاجات الإنسان المختلفة وتكشف عن جانب من الأسرار الفنية التي تكمن في التشبيه.

الفهارس:

- (1) ينظر : تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع : الخطيب القزويني:244.
- (2) ينظر : مفتاح العلوم للسكاكي:244.
- (3) كتاب الصناعتين:239.
- (4) ينظر : النكت في اعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن:،العمدة:1/ 194،الطراز للعلوي:1/ 263،أسرار البلاغة:75.
- (5) ينظر : علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية :د. بدوي طبانه:44.
- (6) ينظر:الكامل:للمبرد3/ 93،وكتاب البديع لابن المعتز:121.
- (7) الجمان في تشبيهات القرآن: ابن نايقا البغدادي .
- (8) من بلاغة القرآن:198.
- (9) العمدة في محاسن الشعر ونقده : ابن رشيق القيرواني،284/1
- (10) أسرار البلاغة :102.
- (11) يونس:24
- (12) الكشف:2/233
- (13) يونس 27
- (14) الحج:31
- (15) لقمان:7.
- (16) بلاغة الصورة القرآنية:24.
- (17) ابراهيم:24-26.
- (18) بلاغة الصورة القرآنية:23-34.
- (19) طه:125-126.
- (20) النحل 33.
- (21) ينظر :بلاغة الصورة القرآنية:25.
- (22) من جماليات التصوير في القرآن الكريم: 58 .



- (23) ابراهيم:18.
(24) ينظر: بلاغة الصورة القرآنية:23.
(25) ينظر:الكشاف:372/2،البحر الميظ:415 /5.
(26) ينظر التصوير الفني في القرآن: سيد قطب:39
(27) ينظر:الكشاف 372/2،التحرير والتنوير:212/1
(28) الأنعام:71.
(29) ينظر: بلاغة الصورة القرآنية:22.
(30) الأنعام:122. ،وينظر: الآية 123 المعنى نفسه.
(31) ينظر بلاغة الصورة :23.
(32) الأنعام:125.
(33) ينظر: تفسير التحرير والتنوير:60/8
(34) القمر:7.
(35) الكشاف:37/4.
(36) القمر:19_20
(37) الحاقة:7.
(38) ينظر:
(39) النمل:88.
(40) تشبيه الجمان:205.
(41) سبأ:13.
(42) الأعراف:171.
(43) الأعراف:176
(44) ابراهيم 37.
(45) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 275/8.
(46) الأعراف:179.
(47) هود:24.
(48) هود:40-42.
(49) ينظر: لتصوير الفني في القرآن:58. ومن جماليات التصوير في القرآن:83.
(50) نفسه:113.
(51) المدثر:49-51.
(52) الجمان:396.
(53) ينظر: معترك الإقران: جلال الدين السيوطي:1: 269.
(54) النمل:10.
(55) القصص:31..
(56) الجمان في تشبيه القرآن:200 .
(57) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني تحقيق: محمد عبد المنعم، بيروت، ط4، 117.
(58) لقمان:19
(59) الصافات:48-49.
(60) الجمان:282.
(61) ينظر: تفسير القرطبي:5/ 80.
(62) الصافات:62-65.
(63) الأعراف :57.
(64) تشبيهات الجمان :84.
(65) فاطر :9
(66) سورة الفيل:1-5.
(67) ينظر: الجمان في تشبيهات القرآن:426.



- (68) العنكبوت:41.
(69) الفرقان:44.
(70) المعارج:43-44.
(71) البحر المحيط: ج 8، 503.
(72) القارعة: 3-5.
(73) البحر المحيط:ج8، 503.
(74) ينظر: روح المعاني:ج29-30، 622.
(75) يس:39.
(76) ينظر: المثل السائر:ج2، 220.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

1. أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، طبعة المنار والمرآة -
2. البحر المحيط: محمد بن يوسف بن حيان، تحقق عادل أحمد، علي معوض، دار الفكر بيروت.
3. البديع لابن المعتز، تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، طبعة الحلبي، القاهرة 1945.
4. بلاغة الصورة القرآنية الجماليات والتجليات: طارق سعد الشبلي، الاتحاد لطباعة الكتاب الجامعي.
5. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر، تونس.
6. التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق.
7. تفسير القرآن العظيم: اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ط: دار ابن حزم.
8. تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع: الخطيب القزويني، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر 1965.
9. الجمان في تشبيهات القرآن: عبد الله بن نايقا البغدادي، تحقيق وشرح د. محمد رضوان الدايدة.
10. روح المعاني: شهاب الدين الألوسي، تحقيق: محمد احمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، دار احياء التراث العرب، ط1، بيروت، لبنان، 1999.
11. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، مطبعة المقطف، القاهرة 1914.
12. علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية: د. بدوي طبانه، دار الثقافة، بيروت.
13. العمدة في محاسن الشعر ونقده: ابن رشيق القيرواني.
14. في ظلال القرآن: سيد قطب
15. الكامل: للمبرد، تحقيق: محمد ابي الفضل ابراهيم، مطبعة نهضة مصر، القاهرة 1956.
16. كتاب الصناعتين: لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي و محمد ابي الفضل، دار احياء الكتب العربية، القاهرة 1952م.
17. الكشف تفسير عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود الزمخشري، المطبعة البابي الحلبي (د.ت).
18. المثل السائر: ابن الأثير: تحقيق: د. الحوفي، و بدوي طبانه، مطبعة نهضة مصر 1959.
19. معترك الاقران في اعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996.
20. مفتاح العلوم للسكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت.
21. من بلاغة القرآن: أحمد بدوي، دار النهضة، مصر، القاهرة.
22. من جماليات التصوير في القرآن الكريم: محمد قطب عبد العال، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2016.



-
23. الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، تحقيق: الشيخ أياد باقر سلمان، دار احياء التراث العربي.
24. النكت في اعجاز القرآن من ثلاث رسائل في اعجاز القرآن: تحقيق: محمد خلف الله و محمد زغلول، دار المعارف، القاهرة.